University of Tehran Press

Ebn-Almoqaffa in Narrative and Poetry

Home Page: https://jal-lq.ut.ac.ir

Online ISSN: 3092-6475

The Role of Resistant Literature in Stimulating National Causes: A Study of "The Fedayee and the Land" Poem by Fadwa Tuqan from a Critical Discourse Analysis Perspective

Abdulghader Pariz[1*] | Amir Mesgar[2]

1. Corresponding Author, Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Persian Literature and Foreign Languages, Allame Tabataba'i University, Tehran, Iran. Email: pariz@atu.ac.ir
2. Department of Arabic Language and Literature, Faculty of Persian Literature and Foreign Languages, Allame Tabataba'i University, Tehran, Iran. Email: amir_mesgar@atu.ac.ir

ARTICLE INFO

Article type:
Research Article

Article History:
Received: 04 January 2025
Revised: 04 May 2025
Accepted: 18 November 2025
Published Online: 17 December 2025

Keywords:
Resistant Literature,
Ideology,
Fadwa Tuqan,
Critical Discourse Analysis..

ABSTRACT

Resistant Literature as a Literary Discourse and Its Impact on Society's Worldview Resistant literature emerged as a response to oppression and tyranny, advocating for freedom and independence. This type of literature plants its ideas in the minds of individuals, gradually transforming into an ideology embraced by society. Critical Discourse Analysis (CDA), which examines discourse and the ideologies it conveys, serves as the methodological framework for this study, allowing for an analysis of the discourse found in resistant literature. Following the Zionist occupation of Palestinian territories, themes of resistance became prominent, significantly influencing the literary discourse of the time. One text that reflects these ideas is the poem "The Fedayee and the Land" by Fadwa Tuqan, which we analyzed using the stages of CDA. In the description stage, we observed that the discourse heavily relies on terms such as "land" and "homeland." This repetition aims to instill the importance of land in the audience's consciousness, encouraging them to sacrifice everything for its sake. During the interpretation stage, we found that the discourse reflects the resistance ideas that emerged in response to the Zionist occupation, particularly the concept of standing against oppression. These ideas were not entirely foreign to society; rather, they resonated with its cultural and religious teachings, making them readily accepted by the public. Ultimately, a dialectical relationship between discourse and society was observed. While existing societal ideas influenced the discourse, they also shaped public thought, continuously reinforcing the notion of sacrifice for the land across generations.

Cite this article: Pariz, A. & Mesgar, A. (2026). The Role of Resistant Literature in Stimulating National Causes: A Study of "The Fedayee and the Land" Poem by Fadwa Tuqan from a Critical Discourse Analysis Perspective. *Ebn-Almoqaffa in Narrative and Poetry*. 21 (4), 435-449. http//doi.org/10.22059/jal-lq.2025.388200.1468

© Authors retain the copyright and full publishing rights.
Publisher: University of Tehran Press.
DOI: http//doi.org/10.22059/jal-lq.2025.388200.1468

جامعة طهران

ابن المقفع في القص والقصيد

موقع المجله: https://jal-lq.ut.ac.ir

الترقيم الدولي الموحد الإلكتروني: 6475-3092

الأدب المقاوم ودوره في تحفيز القضايا الوطنية: دراسة قصيدة الفدائي والأرض لـ"فدوى طوقان" من منظور تحليل الخطاب النقدي لـ فيركلاف

عبدالقادر پريز[1*] | أمير مسگر[2]

١. الكاتب المسؤول، قسم اللّغة العربيّة وآدابها، كلّية الأدب الفارسيّ واللّغات الأجنبية، جامعة العلّامة طباطبائي، طهران، إيران. البريد الإلكتروني: pariz@atu.ac.ir

٢. قسم اللّغة العربيّة وآدابها، كلّية الأدب الفارسيّ واللّغات الأجنبية، جامعة العلّامة طباطبائي، طهران، إيران. البريد الإلكتروني: amir_mesgar@atu.ac.ir

اطلاعات مقاله

نوع مقاله:
علمي

تاريخ‌هاي مقاله:
تأريخ الاستلام: ٢٠٢٥/٠١/٠٤
تأريخ المراجعة: ٢٠٢٥/٠٥/٠٤
تأريخ القبول: ٢٠٢٥/١١/١٨
تأريخ النشر: ٢٠٢٥/١٢/١٧

الكلمات الرئيسة:
الأدب المقاوم،
الأيديولوجيا،
فدوى طوقان،
الفدائي والأرض،
تحليل الخطاب النقدي.

الملخص

الأدب المقاوم كخطاب أدبي له تأثير في رؤية المجتمع الكوني هذا النوع من الأدب ظهر ليقف أمام الظلم والاستبداد ودعا إلى الحرية والاستقلال. فهذه الفكرة الموجودة في الأدب المقاوم أخذت تترسخ في ذهن أفراد المجتمع وتغيرت إلى أيديولوجيا يتبعها المجتمع. ومنهج تحليل الخطاب النقدي هو المنهج الذي يقوم بدراسة الخطاب وما يحمله من أيديولوجيا وفكرة، فلهذا اعتمدنا عليه في هذا البحث لنقوم بدراسة خطاب الأدب المقاوم. بعد الاحتلال الصهيوني للأراضي الفلسطينية، ظهرت أفكار نشاهد فيها ملامح المقاومة، وقد أثّر هذا الموضوع في الخطاب الأدبي آنذاك. ومن الخطابات التي تأثرت بهذه الفكرة هي قصيدة «الفدائي والأرض» لـ«فدوى طوقان»، التي قمنا بتحليلها من خلال مراحل تحليل الخطاب النقدي. وبعد تطبيق مرحلة الوصف، لاحظنا أن الخطاب قد اعتمد كثيرًا على مفردة الأرض والوطن، ومن خلال هذا التكرار يريد أن يقوم بترسيخ فكرة أهمية الأرض في ذهن المخاطب ويدعوه للتضحية من أجلها بالرخيص والنفيس. وكذلك في مرحلة التفسير، وجدنا الخطاب امتدادًا للأفكار التي ظهرت بعد الاحتلال الصهيوني، ألا وهي فكرة المقاومة أمام الظلم. ولم يكن أفراد المجتمع بعيدين كل البعد عن هذه الفكرة، بل كانت موجودة في ثقافتهم وتعاليمهم الدينية، فلهذا تم قبولها من أفراد المجتمع. وفي النهاية، لاحظنا العلاقة الجدلية الموجودة بين الخطاب والمجتمع؛ فالخطاب تأثر ببعض الأفكار الموجودة ولكنه قد أثر على فكر المجتمع وواصل ترسيخ فكرة الفداء من أجل الأرض من جيل إلى جيل.

العنوان: پريز، عبدالقادر و مسگر، أمير (٢٠٢٦). الأدب المقاوم ودوره في تحفيز القضايا الوطنية: دراسة قصيدة الفدائي والأرض لـ"فدوى طوقان" من منظور تحليل الخطاب النقدي لـ فيركلاف. ابن المقفع في القص والقصيد، ٢١ (٤) ٤٣٥-٤٤٩.

http//doi.org/10.22059/jal-lq.2025.388200.1468

© المؤلفون.

الناشر: دار جامعة طهران للنشر

DOI: http//doi.org/10.22059/jal-lq.2025.388200.1468

المقدّمة

يشكّل الأدب المقاوم أحد الأبعاد الجوهريّة الّتي يعبّر من خلالها الأدباء عن معاناة شعوبهم في مواجهة الاحتلال والظلم، ويظلّ هذا الأدب أداة فعّالة في تغيير الوعي الجماعي وتوجيه أفكار المجتمع نحو القيم الوطنية والإنسانيّة. يُعتبر الشّعر المقاوم جزءًا أساسيًا من هذا الأدب، حيث يساهم في تشكيل أيديولوجيا المقاومة وترسيخ مفاهيم الحرّية والكرامة في عقول الأفراد. في السياق الفلسطيني، كان الشّعر وسيلة فعالة لتوثيق معاناة الشعب الفلسطيني من الاحتلال الصهيوني، كما كان أداة تحفيز للأجيال المتعاقبة للاستمرار في النّضال والمقاومة. من بين الشّعراء الّذين ساهموا بشكل كبير في تشكيل هذه الأيديولوجيا ،يمكن الإشارة إلى الشّاعرة فدوى طوقان، التي كانت قصائدها تعبيرًا قويًا عن رفض الاحتلال وأملًا في التّحرّر. تميّزت قصيدتها «الفدائي والأرض» بتركيزها على قضية الأرض والوطن، حيث وظّفت مفردات تحمل رمزية كبيرة في الثقافة الفلسطينية، ممّا جعلها تتصدّر المشهد الأدبي المقاوم.

في هذا البحث، سنتناول دور الأدب المقاوم، خاصّة شعر فدوى طوقان، في تشكيل الوعي الاجتماعي والسياسي، من خلال استخدام منهج تحليل الخطاب النقدي. يهدف هذا التحليل إلى الكشف عن الأيديولوجيا التي تحملها القصيدة وكيفية تأثيرها في المجتمع الفلسطيني عبر الأجيال. سيتمّ تسليط الضوء على كيفية استخدام فدوى طوقان للغة والمفردات لتعزيز فكرة المقاومة والارتباط العميق بالأرض الفلسطينية، ودور هذا الأدب في تحفيز المجتمع لمواصلة النضال.

اشكالية البحث

يلعب الخطاب دورًا بارزًا في توعية المجتمع وأفراده، والشّعر بمثابة خطاب أدبيّ له أثر كبير في تغيير فكر أفراد المجتمع وترسيخ أفكار وأيديولوجيّات جديدة في ذهن المخاطب. ويترتّب على هذا التغيير، التحوّل الثقافي. فعلى هذا الأساس يمكن القول بأنّ الخطاب يمكنه أن يؤدّي إلى تحوّل ثقافي في المجتمع، وهذا يبيّن أهمية الخطاب. ولكن يجب الانتباه إلى أن جميع الخطابات لا تتمتّع بهذه الميزة، بل الخطاب المسبوك الذي تمّ اختيار مفرداته وبنائه عن وعي، وهناك صلة بينه وبين الخلفيات الفكريّة والثقافيّة لمخاطبه، يتمتّع بإمكانية تغيير المجتمع.

فعلى سبيل المثال، التّأكيد على موضوع المقاومة في الشّعر الفلسطيني سبّب رسوخ هذا الموضوع في ثقافة المجتمع الفلسطيني، بحيث لا يمكن فصل المقاومة عن الثقافة الفلسطينية، وهي ركيزة أساسية في فكر الفلسطينيين. ومن الشّعراء الذين ركزوا على موضوع المقاومة، يمكن الإشارة إلى فدوى طوقان، حيث نشاهد الكثير من مضامين المقاومة تتكرر في شعرها. وفدوى طوقان من الشّعراء الأوائل الذين تأثروا بالاحتلال الصهيوني، فلهذا استخدمت الشّعر كوسيلة مؤثرة في تحفيز المجتمع وإيصال مظلوميته إلى جميع البلدان.

بما أن الخطاب يحمل في طيّاته الأيديولوجيا، استطاع الأدب المقاوم أن ينقل فكرة إلى مخاطبيه والأجيال القادمة. فعندما نتحدّث عن أواصر هذه الفكرة، يجب أن نراجع المضامين الموجودة في الأدب المقاوم التي تكررت لعقود متتالية، وقد أظهرت نفسها في هذه الأيام. فلا يمكن القول بأنّ ما حدث في فلسطين قد خُطّط في عام أو عامين، ربّما العملية العسكرية تمّ ترتيبها في هذا الزمان، ولكن الأيديولوجيا الموجودة خلف هذه العملية انتقلت من جيل إلى جيل حتى وصلت إلى الجيل الحاضر. وبالتالي، تأثر هذا الجيل بما انتقل إليه فقام بالدفاع عن أرضه والوقوف أمام الظلم. يمكن القول بأن ما حدث هو رد فعل طبيعي لما عانى منه الفلسطينيون في جميع هذه السنوات.

ومع جميع المرارات الموجودة في المجتمع حيال الاحتلال، فهذا النوع من الشّعر والأدب رغم أنه يشير إلى مظلومية الشعب، إلا أنه مفعم بالتفاؤل والأمل، العنصرين اللذين يسبّبان حركة المجتمع نحو مستقبل زاهر خالٍ من أنواع الظلم والكبت. ولهذا نجد أشعار فدوى طوقان في هذا المجال فارغة من اليأس والتشاؤم. لكن، هناك فرق بين أسلوب فدوى طوقان وأساليب الشّعراء الآخرين في نشر فكرة المقاومة، وهذا شيء طبيعيّ، ولكن تبقى الأيديولوجيا واحدة.

الأدباء يواجهون بالكلمة والموقف معًا مختلف الأزمات التي تهدد الحياة والوجود والانتماء والهويّة والثقافة المتجذرة في الأمة وتراثها على الصعيدين الفردي والاجتماعي؛ فيتحركّون بكلّ ثقة للتّعبير الحضاري والثاقب عن هموم مجتمعهم وأمتهم وينحازون إلى قيمها، أيًا كان المستوى الفني الذي يعبرون فيه عن مواقفهم، وتبقى أزمة الحرية بكل أنماطها من أعظم الأزمات التي تصدى لها الأدباء والكتاب.»

ونحن نسعى في هذا البحث أن نقوم بإظهار أيديولوجيا المقاومة من خلال استخدام منهج تحليل الخطاب النقدي لفيركلاف، حيث يهتم هذا المنهج بالفكرة الكامنة بين الأسطر. وبما أنه يركز على العلاقة الجدلية الموجودة بين الخطاب والمجتمع، سيساعدنا في فهم مدى تأثير شعر فدوى طوقان في المجتمع من خلال نشر فكرة المقاومة. حيث «تنبع أهمية التحليل النقدي للخطاب من الوعي المعاصر بالارتباط الوثيق بين جوانب التغيير في استعمال اللغة الطبيعية ومظاهر التغيير الاجتماعي والثقافي. فقد أصبح التحليل اللساني في نطاقات الصوت والكلمة والجملة والنص – مع هذه المقاربة – مدخلًا لتفسير التغيرات الاجتماعية، وتحولات المساقات التاريخية والسياسية، والأنساق الثقافية والفكرية.»(فوداك/ماير، ٢٠١٤م، ١١)

من هنا، سيساعدنا هذا المنهج في استخراج الأيديولوجيا من قصيدة «الفدائي والأرض» وأيضًا يمكننا أن نعتمد عليه في تحديد نسبة نجاح فدوى طوقان في انتقال هذه الفكرة إلى المجتمع. فاستخدام المفردات المناسبة والبناء الذي يخدم الفكرة الرئيسية يلعب دورًا مهمًّا في انتقال الأيديولوجيا إلى المجتمع. تجدر الإشارة إلى أن الشاعرة تم اختيارها لأنها من رواد الشّعر المقاوم في فلسطين، والقصيدة التي تم اختيارها حاولت نقل أيديولوجيا المقاومة من خلال إثارة مشاعر المخاطب بشكل كبير. من خلال شعرها، رسّخت مفردة فلسطين في أذهان الجميع، ومن بين أشعارها كانت الرسالة التي أُرفقت بها قصيدتها «لفدائي والأرض» من أجمل وأحسن قصائدها. (درويش، ٢٠١٤م، ٢)

أسئلة البحث

سنسعى في هذه المقالة أن نقوم بالرّدّ على السّؤالين التّاليين:

ما هي المعايير التي تسهم في فعالية إيصال الأيديولوجيا إلى المخاطب؟

كيف يمكن قياس مدى نجاح الشاعرة في نقل أيديولوجيا المقاومة والفداء إلى المتلقي؟

فرضيّات البحث

إنّ فعّالية إيصال الأيديولوجيا إلى المخاطب تعتمد على مجموعة من المعايير الأسلوبيّة والبنيويّة، وعلى رأسها اختيار المفردات التي تحمل دلالات أيديولوجيّة واضحة، وقدرة النّص على خلق انسجام بين هذه المفردات والمفاهيم المطروحة. كما أن بناء النّصّ الشّعري بطريقة تُوجّه وعي المتلقي وتُبرز الفكرة المركزيّة يسهم في ترسيخ الرسالة الأيديولوجيّة لديه. فكلّما كان الخطاب أكثر اتساقًا في لغته وتنظيمه، زادت احتماليّة تأثّر المتلقّي به وقبوله له.

يمكن قياس مدى نجاح الشّاعرة في نقل أيديولوجيا المقاومة والفداء من خلال توظيف منهج تحليل الخطاب النقدي، الذي يُمكّن الباحث من دراسة العناصر اللغوية والبنيويّة في النص الشعري، مثل اختيار المفردات، تركيب الجمل، وتوزيع الصور البلاغية. هذا التحليل يساعد في الكشف عن البُنى الأيديولوجية العميقة داخل النص، كما يُظهر العلاقة بين السياق الاجتماعي والسياسي والنص الشعري، ويُبرز مدى تأثير هذه العناصر في تشكيل وعي المتلقي وتفاعله مع الرسالة الأيديولوجية الّتي تحملها القصيدة.

خلفيّات البحث

لقد تناولت العديد من المقالات والكتب موضوع الأدب المقاوم، وهو نوع من الأدب الذي يهتمّ بمقاومة الاحتلال والظلم، ويشكّل وسيلة للتّعبير عن قضايا الشّعب المعاصر ويعكس نضاله من أجل الحرية والاستقلال. من بين هذه الدراسات، يمكن الإشارة إلى كتاب «أدب المقاومة من تفاؤل البدايات إلى خيبة النهايات» للكاتب عادل الأسطة، وكتاب «أدب المقاومة» للكاتب غالي شكري. حيث يتناول هذان الكتابان مسألة الأدب المقاوم بشكل عام، ويعرضان أبرز مضامين هذا النوع من الأدب، لكنهما لا يتعمقان في دراسة القصائد بشكل تحليلي، بل يقتصران على عرض النقاط النظرية المرتبطة بالأدب المقاوم وتوضيح أهم معالمه.

كما توجد العديد من المقالات والبحوث التي تناولت شعر فدوى طوقان وتطرقت إلى موضوع الأدب المقاوم، مثل:

-أوريدة بن شوية. (٢٠١٦). "تفاعل الشاعر والواقع في شعر فدوى طوقان (دراسة لنماذج مختارة)". رسالة ماجستير، جامعة الجزائر. تتناول هذه الرسالة تفاعل الشاعرة فدوى طوقان مع الواقع السياسي والاجتماعي والثقافي الفلسطيني، من خلال دراسة تحليلية لعدد من قصائدها. تسعى الباحثة إلى الكشف عن العلاقة الجدلية بين التجربة الشعرية وطبيعة المرحلة التي عاشتها طوقان، مركزّة على كيفية تمثيل معاناة الشعب الفلسطيني، والمرأة خصوصًا، في سياقات الاحتلال واللجوء والتهميش. وتخلص الرسالة إلى أن شعر فدوى طوقان يُجسّد تلاحم الذات الشاعرة مع قضايا الوطن، من خلال لغة شعرية غنية بالرمز والبعد الأيديولوجي.

-حسن ، نوال. (٢٠٢٠). «تحليل أسلوبي لقصيدة «لفدائي والأرض» لفدوى طوقان». مجلة البحوث الأدبية واللغوية ، جامعة القاهرة ، العدد ٣٥ ، ص ٢١١-٢٣٠. تسعى هذه الدراسة إلى تحليل قصيدة "لفدائي والأرض" من خلال منهج الأسلوبية، مركّزة على الخصائص اللغوية والبنائية التي تستخدمها فدوى طوقان في التعبير عن المقاومة. تتناول المقالة التراكيب النحوية، والحقول الدلالية، والإيقاع، والصور البلاغية، موضّحة كيف توظّف الشاعرة هذه الأدوات لإبراز العلاقة المقدّسة بين الأرض والنضال، وكيف تخلق توترًا جماليًا يعكس الوجدان الجمعي الفلسطيني.

-الكيلاني، فاطمة. (٢٠١٧). «المرأة والمقاومة في شعر فدوى طوقان: قراءة تحليلية». مجلة دراسات في الأدب العربي، جامعة النجاح الوطنية، المجلد ٥، العدد ٣، ص ٤٥-٦٦. تعالج المقالة صورة المرأة المقاومة في شعر فدوى طوقان، وتقدّم قراءة تحليلية لنماذج شعرية تُبرز دور المرأة كعنصر فاعل في النضال الفلسطيني، لا كرمز ثانوي. تسلط الكاتبة الضوء على التحديات النفسية والاجتماعية التي تواجهها المرأة الفلسطينية، وتُظهر كيف استطاعت طوقان أن تدمج بين الذاتي والوطني، لتنتج خطابًا شعريًا يتجاوز الصورة التقليدية للمرأة في الأدب العربي.

- عبد الرحمن، ليلى. (٢٠١٩). «الرمز والمقاومة في الشعر الفلسطيني الحديث: دراسة في شعر فدوى طوقان». مجلة العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر ٢، العدد ٢٠، ص ١٠١-١٢٠.

تبحث الدراسة في توظيف الرمز كأداة فنية وأيديولوجية في شعر فدوى طوقان، مركّزة على البعد المقاوم للرموز المرتبطة بالأرض، الوطن، الأم، والشهادة. ترى الباحثة أن الرمز في شعر طوقان لا يقتصر على التجميل البلاغي، بل يشكّل وسيلة لإيصال رسائل مشفّرة تعكس الوعي السياسي والمجتمعي. وتخلص الدراسة إلى أن طوقان استطاعت من خلال الرمز أن توازي بين الكفاح الشعري والكفاح الميداني.

-السّعدي، روان. (٢٠٢٣). «تحولات الخطاب الوطني في شعر فدوى طوقان: من الحزن الفردي إلى المقاومة الجماعيّة» . مجلة دراسات الأدب المعاصر، جامعة بيرزيت، المجلد ١٢، العدد ١، ص ٧٧-٩٦.

تتناول هذه الدراسة تطور الخطاب الوطني في شعر فدوى طوقان، مركزة على الانتقال من التعبير عن الألم الشخصي والاغتراب الذاتي، إلى خطاب جماعي يعكس الهوية الفلسطينية في وجه الاحتلال. من خلال تحليل عدد من القصائد من مراحل زمنية مختلفة، تكشف الباحثة عن التحولات في اللغة والرؤية والأسلوب، موضحة كيف تطورت أدوات التعبير الشعري لدى طوقان

لتواكب التحوّلات السياسية والاجتماعية في فلسطين. وتؤكد الدراسة أن الخطاب الشعري لدى طوقان يُعدّ مرآة حية للتحوّلات الأيديولوجية والثقافية للمجتمع الفلسطيني.

أمّا في هذه المقالة، سنعتمد على منهج تحليل الخطاب النقدي لـ فيركلاف الذي يركّز على فهم الأيديولوجيا الكامنة وراء النصوص الأدبية، وكيفية نقل هذه الأيديولوجيا إلى المخاطب والمجتمع. ما يميز بحثنا عن الدراسات السابقة هو أننا لا نقتصر على استخراج مضامين الأدب المقاوم فقط، بل سنقوم بتحليل كيفية بناء الأيديولوجيا في شعر فدوى طوقان، وطرق تأثيرها في المجتمع الفلسطيني من خلال اللغة والأسلوب. فالعلاقة الجدلية بين الخطاب والمجتمع ستكون محور اهتمامنا في هذا البحث، حيث نهدف إلى فهم مدى تأثير الأدب المقاوم في تشكيل الوعي الجماعي وتشجيع الأجيال على الاستمرار في المقاومة. هذا الجانب التحليلي العميق في دراسة الخطاب يعد من الأمور التي قلّما يتم التركيز عليها في المقالات والكتب التي تم الإشارة إليها.

الأدب المقاوم ومضامينه

موضوع احتلال فلسطين يشكّل أحد أبرز المضامين في الأدب المقاوم في العصر الحديث، فقد دخل موضوع المقاومة والوقوف أمام الظلم والاستبداد في الأدب منذ القدم. عبر التاريخ، نرى كيف كانت الشعوب تسعى لتحرير نفسها من الهيمنة الخارجية واستبدادها، أو كانت تسعى للحفاظ على مبادئها الأخلاقية والدينية، وهذا التوجه كان ينعكس في الأدب بشكل عام.

بناءًا على ذلك، يمكن القول إنّ موضوع المقاومة والالتزام من أبرز المواضيع الأدبية التي كانت موجودة منذ العصور القديمة. ومع احتلال الأراضي الفلسطينية، أصبح موضوع فلسطين هو الرمز الأبرز للمقاومة في العصر الحديث، وقد سعى الأدباء والنقاد من مختلف البلدان الإسلامية إلى تسليط الضوء على القضية الفلسطينية والتعبير عن دعمهم لها. كما تناول هذه القضية الأدباء الفلسطينيون الذين دافعوا عن وطنهم ومبادئهم عبر لغة الأدب، فالشّعر كان سلاحًا فعالًا في أيديهم للتوعية ورفع الوعي المجتمعي إزاء القضايا الوطنية. كما يقول أحد النقاد: «شاعر المقاومة هو من يدعو إلى حمل السلاح إلى جانب كتابته الشّعر الذي يدعو إلى المقاومة، وهذا ما تحقق لـ معين بسيسو» (الأسطة، ٢٠٠٨م،٨).

من خلال ما تم ذكره، يمكننا القول إن الأدب المقاوم هو الأدب الذي يدعو إلى الحرية والتخلص من الاستعباد. عبر الأجيال، كان الأدب أكثر الفنون ارتباطًا بالثورات، وأقواها في التعبير عنها. كل ثورة عرفها التاريخ كان الأدب هو الممهد لها بالخطبة والقصيدة، والمقال والرواية، ثم أصبح بعد قيامها هو الداعي لها والناشر لمبادئها، والمدافع عنها ضد معارضة الخصوم والأعداء. وبعد استقرار الثورة، أصبح الأدب هو الراصد لمسيرتها والمسجل لخطواتها والمعبّر باستمرار عن تأييد المجتمع لها أو سخطه عليها. (بن سعيد، ٢٠١٩م، ١٢).

من خلال هذه التعريفات، يمكننا استخلاص بعض من أبرز مضامين أدب المقاومة، مثل الحرّية، الوقوف أمام الظّلم، الصمود، والتحمل. وتتركز مضامين هذا الأدب حول قيم البطولة والفداء، الصمود، التحدي، الثورة، الصلابة، الشهادة، التمسك بالأرض، والمعاناة. وتداخل هذه المضامين مع فنون أخذت هوية خاصة ضمن سياق أدب المقاومة، مثل أدب الأسر والسجن، أدب العودة، وأدب اللجوء والمنفى والاغتراب عن الوطن. كما يعكس الأدب المقاوم التجربة الثورية الجهادية بمبادئها ومواقفها، ويسجل الوقائع والأحداث التي شكلت جزءًا من تاريخ هذا الصراع (الأسطة، ٢٠٠٨م، ٩).

من بين المضامين المهمة في الأدب المقاوم هو نشر الأمل بين أفراد المجتمع بأنهم قادرون على التخلص من العبودية والظلم. لذلك نجد أن الشّعراء الفلسطينيين نظموا قصائد تهدف إلى نشر التفاؤل والأمل بين الناس، مثل قصيدة «أمل» لمحمود درويش في ديوانه «أوراق الزيتون»، والتي يسعى من خلالها إلى رفع مستوى التفاؤل والأمل لدى شعبه لمواجهة الاحتلال الإسرائيلي.

تحليل الخطاب النّقدي

إنّ التّحليل النقدي للخطاب يمثّل أحد أحدث مقاربات تحليل الخطاب ذات التوجه اللساني، ويعنى بدراسة العلاقات الجدلية بين اللغة والخطاب والمجتمع، وكذلك السّلطة التي تكرسها هذه العلاقات على صعيد الممارسة الاجتماعية والتغيرات التي تطرأ على المجتمع نتيجة لذلك. كما يشير إلى تأثير الخطاب في المجتمع وتحفيزه للقيام بممارسات اجتماعية وثقافية تؤدي إلى التغيير. (مجموعة من المؤلفين، ۲۰۱۹م، ۱۰)

تبدأ مراحل التحليل النقدي للخطاب بمرحلة الوصف التي تعنى بدراسة اللغة والنص والخطاب نفسه دون النظر إلى السياق الاجتماعي أو التاريخي. هدف هذه المرحلة هو وصف النص دون النظر إلى الظروف الخارجية التي قد تكون أثرت في ظهوره. إذ يُركز المحلل في هذه المرحلة على المميزات الظاهرة للنص التي ساهمت في ظهور الخطاب ذاته. (يورغنسن وفيليبس، ١٣٩٦ ش، ١٢٢)

أمّا المرحلة الثانية فهي مرحلة التفسير، حيث يتجاوز المحلل دراسة النص نفسه إلى البحث عن العلاقة بين الخطاب والمجتمع. في هذه المرحلة، ينصب التركيز على الظروف الاجتماعية والثقافية التي تحيط بالنص، ويحاول المحلل الإجابة على هذا السؤال: هل يتلاءم الخطاب مع المجتمع أم لا؟ ويتم ذلك من خلال الاعتماد على سياق الحال والتّناص. (نوروز، ١٣٩٥ش، ١٧٦)

في سياق الحال، يستطيع المحلل أن يتعرف على المجتمع بشكل أعمق، وهو ما طرحه هاليدي، ويظهر هذا التأثير بوضوح في منهج التحليل النقدي للخطاب. (هاليدي وحسن، ١٣٩٣ش، ١٢٤-١٢٦) كما أن التناص، الذي يعرفه فيركلاف بـ «الافتراضات السابقة»، يعد عنصراً أساسياً في هذه المرحلة. ويعني التناص أن المتكلم ينبغي أن يكون على دراية بالخبرات التناصية المسبقة لدى مخاطبيه، ويعبر عنها بناءً على تلك الافتراضات السابقة. (فيركلاف، ٢٠١٦م: ٢٠٧)

أما في مرحلة الشّرح، وهي المرحلة الأخيرة في التحليل النقدي للخطاب، يولي المحلل اهتمامًا خاصًا بالعلاقة الجدلية بين الخطاب والمجتمع. من خلال هذه المرحلة، يمكن ملاحظة مدى تأثير الخطاب في المجتمع والعكس. وفي هذه المرحلة، يستخدم المحلل ما توصل إليه من المراحل السابقة ليستخرج الأيديولوجيا الموجودة في الخطاب ويجيب على السؤال: هل الأيديولوجيا الموجودة في الخطاب تدعم الأيديولوجيا السائدة في المجتمع، أم تسعى لتغييرها أو إصلاحها؟ «هذه المرحلة تختص بالعلاقة بين التفاعل والسياق الاجتماعي، أي التحكّم الاجتماعي في عمليتي الإنتاج والتفسير وآثارهما الاجتماعية.»(فركلاف، ٢٠١٦م: ٤٦)

الأيديولوجيا

الأيديولوجيا هي من أهم المواضيع التي ترتبط بالخطاب، وقليلٌ من المصطلحات دخلت إلى مجالات الجدل الفكري كما دخلت كلمة الأيديولوجيا. وفقًا لمنهج التحليل النقدي للخطاب، يعتقد أن الأيديولوجيا هي وراء كل خطاب، وأن هناك علاقة ديالكتيكية بين الخطاب والأيديولوجيا. في هذا السياق، سنعرض بعض التعريفات المتعلقة بهذا المصطلح، مع التأكيد على أنه سيتم تعريف الأيديولوجيا داخل إطار منهج التحليل النقدي للخطاب.

لغويًا، تعني الأيديولوجيا في أصلها الفرنسي «علم الأفكار»، ولكنها لم تحتفظ بالمعنى اللغوي الأصلي. (العروي، ۲۰۱۲م: ۹) ومن وجهة نظر فان دايك، تعني الأيديولوجيا «نظامًا من المعتقدات لمجموعة معينة، ولأفراد هذه المجموعة»(فان دايك، ١٣٩٤م: ١٧). وهي واحدة من أهم المصطلحات في منهج التحليل النقدي للخطاب،

من خلال مقاربة منهج التحليل النقدي للخطاب في هذه المقالة، من المهم أن يشير الباحث إلى دور الأيديولوجيا في هذا المنهج. يعتقد فيركلاف أن هناك صلة وثيقة بين الخطاب والأيديولوجيا، حيث يقول: «لخطاب هو الوعاء المفضل للأيديولوجيا» (فركلاف، ٢٠١٦م: ٥٩). وفي مكان آخر، يضيف فيركلاف وفوداك: «يحظى الخطاب بأهمية لأنه يشغل الأيديولوجيا، يشكل ويشترط المجتمع والثقافة، ويخلق ويجعل علاقات السلطة دائمة.» (بريز، ۲۰۱۹م: ۳۰٤). وبالتالي، فإن العلاقة الجدلية بين الخطاب

والأيديولوجيا تضاعف من أهمية كليهما. ومن هذا المنطلق، سنسعى في هذه المقالة إلى إظهار الأيديولوجيا الكامنة في أشعار فدوى طوقان ودراسة تأثيرها على المجتمع.

عند الحديث عن أهمية الأيديولوجيا، يمكن القول: «تمكث الأيديولوجيا داخل كل فكرة، فهي لازمة للظواهر، ومن دونها لن يتسنى للفكر أن يحقق فعالية ليصبح كيانًا معنويًا مكتمل الحضور.» (خاكي قراملكي، ٢٠٢٠م: ٨).

أمّا بالنّسبة إلى علاقة الأيديولوجيا والخطاب الأدبي فيُعتبر الخطاب الأدبيّ وسيلةً فعّالة لنقل الأيديولوجيا إلى المخاطبين، حيث يتجاوز دوره نقل الأفكار إلى تشكيل الوعي الجمعي وصياغة المواقف الثقافية والاجتماعية. فالأيديولوجيا تنتقل عبر الخطاب الأدبي من خلال البنية اللغوية واختيار المفردات والأساليب التعبيرية التي تعكس المعتقدات والقيم الأيديولوجية. يُظهر النص الأدبي عادةً رؤية العالم من زاوية محددة، حيث يعبّر عن الأيديولوجيا المضمرة في سياق اجتماعي وثقافي معين. ومن خلال التكرار والمجازات والشخصيات، يصبح الأدب وسيلة لإقناع القارئ وتوجيهه نحو تبني رؤى أيديولوجية معينة أو إعادة النظر في مواقفه السابقة. وفي هذا السياق، يوضح فيركلاف أن الأدب يعزّز أيديولوجيا معيّنة عبر تقديمها في شكل تجربة شخصية أو جماعية، مما يجعل القارئ يشعر بالانتماء لهذه الأيديولوجيا وكأنها جزء من واقعه. وعليه، يلعب الأدب دورًا مزدوجًا: الحفاظ على الأيديولوجيات القائمة أو التمهيد لتغييرها عبر إثارة أسئلة جديدة حول القيم السائدة.(فركلاف، ٢٠١٦م: ٥٦)

تحليل قصيدة الفدائي والأرض على أساس منهج تحليل الخطاب النّقدي

مرحلة الوصف

في هذه المرحلة، كما أشرنا سابقًا، سنركز على النص والخطاب نفسه دون الاهتمام بالملابسات الخارجية، وسنقوم باستخراج المفردات التي تلعب دورًا أساسيًا في هذا الخطاب، وهي التي تقوم بنقل الأيديولوجيا إلى المخاطب. من أكثر المفردات تكرارًا التي يمكننا ملاحظتها في هذه القصيدة هي «الأرض»، وهي المفردة التي نلاحظها في عنوان القصيدة أيضًا. وهناك مفردات أخرى ترتبط بالأرض مثل: «البلد»، «الشعب»، و«الأهل». فتكرار هذه المفردة في القصيدة يبين دورها المحوري فيها. فكأن الشاعرة تريد أن ترسخ أهمية موضوع الأرض في فكر المخاطب، ولهذا تكررها في جميع أنحاء القصيدة من البداية حتى النهاية. المقصود من هذه المفردة هو أرض فلسطين التي تم احتلالها من قبل الصهاينة، الاحتلال الذي حفز الفلسطينيين للدفاع عن أراضيهم، ومن هنا نلاحظ أهمية الأرض لديهم، وهم يفدون بها بكل شيء عزيز.

في القسم الأول من القصيدة، نلاحظ مفردات «الأهل»، «البلد»، و«الشعب»: «يا أهلي، يا بلدي، يا شعبي» (طوقان، ١٩٩٣م، ٣٨٩). هذه المفردات تتكرّر بجانب المفردات التي ترتبط بالفداء وتدخل في حقله في هذا الجزء مرة أخرى لتدل على أهميتها ودورها الأساسي في القصيدة: «هل أَحمِي أهلِي بالكلمَةِ؟/ هل أُنقِذ بلدي بالكلمةِ؟» (طوقان، ١٩٩٣م، ٣٨٩). هذا التّكرار في بداية القصيدة يدل على أن القصيدة من وراء ترسيخ فكرة أهمية الأرض والوطن والدفاع عنه في ذهن المخاطب، أي المجتمع الفلسطيني أو كل من يخصه شأن الحرية. يجب الإشارة إلى أن الأرض هي التي تحتضن الأهل والأعزاء وتحتضن جميع الذكريات، وهذا هو الدليل على أهميتها ولزوم تحريرها والفداء من أجلها بكل شيء عزيز. في هذا المجال، تقول الشاعرة إنها لا يمكنها أن تدافع عن وطنها وأرضها من خلال الكلمات فقط، والمقصود من هذا الأمر هو أنه لا يمكن تحرير الأراضي المحتلة بالكلمات والشعارات: «ما أحقر أن أجلس كي أكتب» ((طوقان، ١٩٩٣م،٣٨٩) ، بل يحتاج إلى الفداء والتضحية. فهنا نلاحظ أن فدوى طوقان في مقدمة قصيدتها تبين للمخاطب أهمية الأرض والدفاع عنها. يمكننا أن نلاحظ بعض ملامح المقاومة في هذا الجزء، ومن خلال مفردتي «حمي»و«أنقذ» اللتين تنقلان إلى المخاطب أيديولوجيا المقاومة، المقاومة التي تأتي من خلال التضحية لا القول فقط. البناء الذي تستعمله فدوى طوقان في هذا الجزء أيضًا يدلنا على هذه الفكرة، وعندما تقول: «هل أحمي أهلي بالكلمة؟/ هل أنقذ بلدي بالكلمة؟» فهي بدل أن تستخدم أداة النفي، استخدمت الاستفهام لنفي هذا الموضوع. «فالنفي بـ (هل) ليس نفيًا محضًا بل هو

استفهام أشرب معنى النفي، فقد يكون مع النفي تعجب أو استنكار أو غير ذلك من المعاني.» (السامرائي، ١٩٩٠م، ٦١٧/٤). كما أن هناك سببًا آخر يذكره السّامرائي للنفي بالاستفهام: «إن النفي الصريح إنما هو إقرار من المخبر، فإذا قال: (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) أو قال (ما على الرسول إلا البلاغ) كان هذا إخبارًا من المتكلم. أما إذا قال ذلك بطريق الاستفهام، فإن المقصود إشراك المخاطب في الأمر، فهو يريد الجواب منه.» (السامرائي، ١٩٩٠م، ٦١٨،٤) نلاحظ أن فدوى طوقان هنا تريد أن تقول إنه لا يمكن المقاومة وحماية الأرض من خلال الكلام والشعار، بل يحتاج ذلك إلى عمل واسع وجهد كثير.

في القسم الأول من الجزء الثاني من القصيدة أيضًا، نلاحظ مفردة «الأرض» و«الشعب»: «وكلّ همّ أرضه وشعبه» (طوقان، ١٩٩٣م، ٣٩٠). حتى تقول الشاعرة إن هذه المفردة مهمة وهي أهم مسألة للفلسطينيين في الوقت الراهن. فمازن الفتى الشجاع يريد أن يقوم بالدفاع عن الأرض لا بالكلمات بل هو يهبّ ليؤدّي واجبه في أسرع وقت ممكن. حينما استخدمت الشاعرة لفظة «هب»، فهي تريد أن تقول إن العمل في هذا المجال يجب أن يكون سريعًا، ولا يقوم بمثل هذا الفعل إلا من يتحمل مسؤولية الدفاع عن الأرض. «هبّت الريح تهبّ هبوبًا وهبيبًا: ثارت وهاجت.» (لسان العرب: مدخل هبب). بناءً على هذا المعنى، تدعو فدوى طوقان الشباب للثورة من أجل الدفاع عن الوطن. وقد انتقلت الثورة من جيل إلى جيل.

«وهبّ، مازنُ، الفتى الشّجاعُ/ يحمِلُ عبءَ حبِّه/ وكلَّ همِّ أرضِه وشعبِه/ وكلَّ أشتاتِ المُنى المُبَعْثَرَة!!» (طوقان، ١٩٩٣م، ٣٩٠).فمازن هنا يمثل شابًا لا يرى لنفسه أرضًا أو شعبًا إلا أنه يريد استرجاع أراضيه ليعيش مع شعبه في أمان، ويبلغ هذا الخطاب ذروته في المقطع التالي:

«ماضٍ أنا، أماه،/ماضٍ مع الرّفاق لموعدي،/راضٍ عن المصيرّأحمله كصخرةٍ مشدودةٍ بعُنقي،/فمِن هنا منطَلقي.»(طوقان، ١٩٩٣م، ٣٩٠) في هذا المقطع، يظهر ضمير المتكلم في حالة يقين تام: «ماضٍ»، «راضٍ»، ما يعكس وعيًا نضاليًا متصالحًا مع المصير .أما عبارة «كصخرة مشدودة بعنقي» فهي صورة رمزية تحمل دلالة العبء النضالي الثقيل والمقبول، وتشير ضمنًا إلى أسطورة "سيزيف"، لكن بإعادة تأويلها ضمن خطاب بطولي، لا عبثي. وتبلغ القصيدة قمّتها الشّعورية في مقطع يستحضر العاطفة الأموميّة والموقف الفدائي في آنٍ:

«يا ولدي!/لا تحزن إذا سقطت قبل موعد الوصول/فدربنا طويلة شقيّة/ نعبرها على مشاعل الدماة/لكن لن يجيء بعدنا الفرح/لابدّ من مجيئه، هذا الفرح»(طوقان، ١٩٩٣م، ٣٩١) في هذا المقطع، تتحول الأم من رمز للرعاية إلى رمز للمقاومة الصابرة . تُطمئن ابنها وتدفعه إلى مواصلة الطريق، مهما كان مظلمًا. وتُظهر الصور الشعرية هنا مزيجًا من الليل الجهنمي ومشاعل الدماء، وهي مفارقة تجمع بين المعاناة والأمل، لتُعزز أيديولوجيا التضحية من أجل وعدٍ مؤجَّل: »الفرح».ثمّ تتكرّر نداءات الأمّ بتكرار الأمر«اذهب» لكنّها لا ترسله مجردًا، بل تحيطه بالحماية المقدّسة:«وحوّطته أمه بسورتي قرآن/وعوّذته باسم الله والفرقان» (طوقان، ١٩٩٣م، ٣٩١) يُصبح المقدّس الديني هنا عنصرًا مكمّلًا للشّرعية السياسية للمقاومة، وتتماهى الطّقوس الدّينية مع طقوس التّضحية الوطنية. وفي النّهاية، يتحول «مازن» إلى صورة أسطوريّة:

«كان مازن الفتى الأمير سيد الفرسان/كان مجدها وكبرياءها/وكان عطاءها الكبير للأوطان» (طوقان، ١٩٩٣م، ٣٩١) وهو من أجل هذا الهدف سيُضحى بنفسه وبكل شيء: «وكلُّ ما لديَّ، كلُّ النّبضِ/ والحبِّ والإيثارِ والعبادةِ/ أبذِلُهُ لأجلِها، للأرض» (طوقان، ١٩٩٣م، ٣٩٠). إضافة إلى الأرض، نلاحظ مفردات ترتبط بمفهوم الفداء والتضحية، وكأن فدوى طوقان توضح للمخاطب هنا أنه علينا أن نضحي بكل شيء من أجل الأرض ولا نكتفي بكتابة المقالات أو الأشعار فقط، بل يجب اتخاذ بعض الإجراءات العملية من أجل تحرير الأراضي. في هذا القسم أيضًا نلاحظ أيديولوجيا المقاومة موجودة، والشاعرة باختيار المفردات المناسبة التي تم ذكرها، تستطيع نقل هذه الفكرة إلى المخاطب.

ومن خلال هذه المفردات يمكن استخراج الأيديولوجيا من الخطاب الأدبي. بداية، يجب التركيز على اختيار المفردات وتكرارها، حيث يمكن أن تعكس المفردات المحورية الأيديولوجيا المهيمنة في النص. على سبيل المثال، تكرار مفردات مثل

«الأرض»، «الشعب»، و«الفداء» في هذه القصيدة يعكس أيديولوجيا المقاومة والتضحية. ثانيًا، يمكن تحليل البناء النحوي والجملة لإبراز الأساليب البلاغية التي تدعم الأيديولوجيا، مثل الاستفهام المستخدم لنفي المقاومة السلبية والدعوة إلى الفعل العملي. ثالثًا، يجب ملاحظة سياقات النص، مثل العلاقات بين الشخصيات أو الإشارات الزمنية، لفهم كيف يعبر النص عن التغيرات الاجتماعية أو القيم المترسخة.

مرحلة التّفسير

في هذا القسم سنقوم بتفسير هذه القصيدة ويجب أن نعلم بأنّ مرحلة التفسير تأتي من خلال دراسة الخلفيّات الذهنية لدى المخاطب وسياق الحال للخطاب. ونستطيع القول بشكل ملخّص بأنّ في هذه المرحلة سنقوم بتفسير النص بالاعتماد على ما حصلنا عليه في مرحلة الوصف إضافة إلى معالجة سياق الحال والتناص.

يمكننا القول بأنّ في هذه المرحلة نبتعد قليلاً عن التركيز على النص ونركز على الملابسات الخارجية حتى نرى هل يتلاءم الخطاب مع سياق الحال ومع الخلفيّة الذهنية الموجودة لدى المخاطب؟! فهنا يجب أن نتكلّم عن موقف صاحب الكلام والمخاطب. وفي هذه المرحلة علينا إعادة بناء إنتاج النص. ففدوى طوقان أيضامن خلال هذه القصيدة تقوم بإنتاج وظائف اجتماعية وأهمّها الوقوف أمام الاحتلال والدفاع عن الأرض. ويجب العلم بأنّ هذا الفكر لم يكن جديداً بل هناك خلفية للمخاطب أي المجتمع بالنسبة إلى ثيمة الدفاع عن الوطن وعدم قبول الظلم. ففي البداية سنعتمد على سياق الحال وسنقوم بتفسير الخطاب من خلاله وبعد ذلك سنتطرّق إلى الخلفيّات الذهنيّة الموجودة لدى المخاطب.

سياق الحال

كما نعلم، لا تنظر المناهج الجديدة إلى معنى النص والخطاب نظرة قطعية، بل الخطاب لديهم محتمل الدلالة. ويمكن أن يتوصّل كل مفسّر إلى معنى جديد للنص والخطاب، وربما نلاحظ تناقضًا كبيرًا بين هذه المعاني. ولكن منهج تحليل الخطاب النقدي جعل جلّ اهتمامه على سياق الحال في مرحلة التفسير، لأنّه يعتقد بأنّ سياق الحال سيساعد في التقرّب من معنى واحد. والسياق هو الذي يقوم بتحديد دائرة معاني خطاب ما. ويوضّح فيركلاف هذا الأمر قائلاً:

«الجوانب المذكورة من التعامل مع النص تساعد على إيضاح كيفية اختزال المفسّرين لما يمكن أن يدلَّ عليه النص من معانٍ متضادّة أو ملتبسة وحسب، وتبيّن جانباً من دور السياق في تقليل هذا الجانب، وذلك بالمعنى الضيّق للسياق الذي يحصره فيما يسبق (أو يتبع) جزءًااً معيّنا من النص. ومع ذلك فالسياق يتضمّن أيضًا ما يسمّى أحياناً سياق الحال، إذ يصل المفسّرون إلى تفسيرات للممارسة الاجتماعية كلها التي يشكل الخطاب جانبا منها، وهذه التفسيرات تؤدّي إلى تنبّؤات حول معاني النصوص، وهي التي تقلّل أيضًا من إمكان التباس المعنى باستبعاد المعاني التي كان يمكن أن تُرى داخل النص» (فيركلاف، ٢٠١٥م، ١٠٦). فبواسطة سياق الحال يُمكننا أن نحدّد دائرة الدلالات، فبهذه الصورة نشاهد اختلافاأقلّ بين المعاني.

وهنا تجب الإشارة إلى هذا الموضوع بأنّ معرفة السياق تساعدنا في معرفة الخطاب. وعكس هذا الأمر أيضاصادق، فنحن من خلال الخطاب سنتعرّف على السياق والبيئة التي ظهر فيها هذا الخطاب. إنّ في سياق الحال نستطيع التعرّف إلى المجتمع وهذا ما طرحه هاليدي وهنا نشاهد الامتداد لهذا الرأي والتأثر منه في منهج تحليل الخطاب النقدي. والمقصود من سياق الحال كما يعرِّفه هاليدي هو: البيئة التي يعمل النص مباشرةً فيها. ويستعمل هاليدي سياق الحال ليقولَ بأنّ الظروف السائدة في بيئةٍ ما تؤثّر في الخطاب واختيار المفردات. وإذا تغيّرت البيئة ستتغيّر المفردات دون أدنى شك. وإذا لم يتعرّف المخاطب على سياق الحال ربما لا يستطيع الوصول إلى المعنى الكامنِ خلف ظاهر المفردات والتّراكيب. ويجب أن نعلم بأنّ سياق الحال يؤثّر في الخطاب والخطاب يؤثّر في سياق الحال والبيئة (هاليدي وحسن، ١٣٩٣ش، ١٢٤-١٢٦). وهنا يجب ألّا ننسى دور المتكلّم في اختيار المفردات. على سبيل المثال فدوى طوقان في قصيدة «الفدائي والأرض» قد اعتمدت كثيراً على لغة الأنوثة فبهذه الصورة قامت بإثارة المشاعر لدى

المخاطب. ففي القصيدة لاحظنا المحادثة بين الابن والأمّ ومن خلال هذه المحادثة يمكننا أن نفهم هذه النّقطة بأنّ في المجتمع العربيّ هناك علاقة قوية بين الأمّ والابن فكان من الممكن أن يتكلّم الابن مع والده ولكن لم يحدث هذا الشيء وأيضاً يمكننا أن نفهم هذه النقطة بأنّ الأمّ في المجتمع تحظى بمقامة سامية ويرجع دليل هذا الأمر إلى التعاليم الدينية التي حظي بها المجتمع.

هناك نقطة أخرى لا بدّ لنا أن نشير إليها وهي بداية القصيدة، حيث تقول الشاعرة:

«أجلس كي أكتبَ، ماذا أكتُب؟/ ما جدوى القَول؟ / يا أهلي، يا بلدي، يا شعبي/ ما أحقرَ أن أجلسَ كي أكتبَ/ في هذا اليومِ/ هل أحمي أهلي بالكلمة؟ / هل أنقِذ بلدي بالكلمة؟/ كل الكلمات اليوم/ ملحُ لا يروق أو يزهر/ في هذا الليل...» (طوقان، ۱۹۹۳م، ۳۸۹)

في مرحلة التفسير نحن نريد استخراج مدى تأثير المجتمع على الخطاب، وهذه الأسئلة التي تؤكد عليها الشاعرة تدلّنا إلى هذا الأمر بأنّ في تلك الفترة الزمنية إمّا أن كانت هناك موجة من الكتابات والشعارات التي كانت تحامي عن فلسطين وإمّا كانت تريد الشاعرة أن تبيّن للجميع بأنّ الكتابة والتوعية دون العمل لا فائدة منها. فيجب الدخول في الساحة والتضحية بكلّ شيء. فحينما نمعنُ النظر فيما أنشدته فدوى طوقان، يمكننا أن نستنتج بأنّ موضوع الدفاع عن فلسطين بالأرواح قد أعطى مكانه للدفاع بالكلام ،ولكنها تريد تبيين هذا الأمر،فتقول: علينا التضحية حتى نصل إلى أرضنا ونقف أمام الظلم. وهناك في القصيدة أيضايمكن فهم هذا الموضوع بأنّ حينما يُحرم شعب من أرضه فهو آنذاك يتحسّر على ما فقده ويحاول استعادته بكلّ عزيز.

نلاحظ في هذه القصيدة بعض المفردات التي تستخدمها الأمّ لمخاطبة ابنها فهي الأخرى التي تعرّف لنا المجتمع، «يا ولدي!/ يا كبدي!» فنحن نشاهد تكرار هذه العبارة في هذه القصيدة وترشدنا هذه الألفاظ إلى العلاقة الحميمة الموجودة بين الأمّ وابنها في المجتمع الفلسطيني، وقد استخدمت الشاعرة هذه العلاقة الفريدة حتى تبيّن للمخاطب أهمّية الأرض، أي إنّها أهمّ من هذه العلاقة.

الخلفيّات وسياق التّناصّ

في هذا القسم من مرحلة التفسير سنتكلّم عن التناص والافتراضات السابقة الموجودة لدى المخاطبين. وهذه الافتراضات دون أدنى شك لها تأثير كبير في الخطاب. وهكذا التّناص الذي يشير إلى العلاقة الجدلية الموجودة بين النص والتّاريخ. فتأثير التاريخ في نصٍّ ما وتأثير النص على التاريخ يدخل في حيّز اهتمام التناص (آقاگل زاده، ۱۳۹٦ش، ۱۲۹). والمقصود من التناص هو أنّ النص ليس منفصلاً عن النصوص الماضية بل يأخذ منها بعضَ العناصر والأفكار ويؤثّر فيها ويعيد النظر فيها، يغيّرها، ويؤيّدها وبهذا الشكل يسبّب ظهور نصوص المستقبل.

فتأثّرُ نصٍّ ما بسائر النصوص يساعد النص والخطاب في حلّ التأريخ في نفسه وتجاوز النصوص القادمة والمستقبلة. وهنا أيضايجب علينا ألّا نغضّ النظرَ عن مهارات وقُدُرات الماتن في استخدام إمكانيّات اللغة، في بناء خطابٍ بإمكانه تجاوز التأريخ والمستقبل. ونقصد من سياق التناص أن يقوم صاحب الكلام بتقييم خبرة التناصّ التي يتمتّع بها المخاطبون حتى يحدّد ما ينبغي السكوت عنه والنصوص التي يمكنه الإحالة إليها. وهنا نشير إلى مفهوم التناص من منظار فيركلاف حيث يقول: «يعني التناص أساسا الخصيصة التي يتميّز بها أحد النصوص. وهي حفوله بشذرات من نصوص أخرى، وقد تكون ذات حدود صريحة أو مندمجة فيه، وقد يكون النص مستوعبالها، أو مناقضا لها، أو قد يمثّل أصداء ساخرة لها وهلمّ جرّاً. فمن زاوية الإنتاج، نرى أنّ منظور التناص يؤكد الطابع التاريخي للنصوص، أي كيف أنّها دائماً ما تمثّل إضافات إلى سلاسل الاتصال الكلامي القائمة. إذ تتكوّن من نصوص سابقة تتجاوب معها. وأمّا من زاوية التوزيع، فيساعدنا منظور التناص على استكشاف الشبكات الثابتة نسبيا، والتي تسيّرها النصوص، وتخضع لتحوّلات يسهل التنبّؤ بها أثناء تحوّلها من نمط نصّي إلى نمط آخر (فالخطب السياسية مثلاً كثيراً ما تتحوّل إلى تقارير إخبارية).

على سبيل المثال في القسم الأخير من القصيدة نلاحظ هذه العبارة «يا ألف هلا بالموت» فهذا نوع بالترحيب للموت وقبوله لا لأنّه سهل يسير بل إنّ الخلفية التراثية الموجودة لدى المخاطب تجعله يقبل هذا الأمر بسهولة. ففي القرآن الفكرة تجاه الموت

هذه:(قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ) (الجمعة/٨).فحينما تكون الرؤية الدينية فلا بدّ من الموت فمن الأفضل أن يموت الإنسان في طريق حرّيته وقيمه.

من هذا المنطلق وعلى أساس مرحلة التّفسير، يمكن ربط الخطاب الأدبي بمفهوم الأيديولوجيا، حيث إن الأدب لا ينفصل عن السياقات الاجتماعية والسياسية والثقافية التي يُنتَج فيها. فإن الخطاب الأدبي لا يُعتبر مجرد تعبير عن مشاعر فردية أو أفكار شخصية، بل هو منتج اجتماعي وثقافي يتأثر بالبيئة المحيطة به. كما أن الخطاب الأدبي يمكن أن يكون أداة لإنتاج الأيديولوجيا أو نقدها، وقد يتخذ شكلًا من أشكال المقاومة أو الدعوة للتغيير.فقصيدة فدوى طوقان في الواقع ليست مجرد تعبير شعري عن مشاعر شخصية، بل هي خطاب أدبي يعكس الأيديولوجيا الوطنية ويعبّر عن موقف اجتماعي وسياسي ضد الاحتلال، مما يجعلها جزءًا من خطاب أدبي مقاوم.

مرحلة الشّرح

في هذه المرحلة من مراحل تحليل الخطاب النقدي، نشاهد وجه تمايز هذا المنهج عن سائر المناهج. هنا على المحلل أن يتطرق إلى العلاقة الجدلية بين المجتمع والخطاب. «من بين الركائز الأساسية للتحليل النقدي للخطاب فكرة كون الخطاب متجذر اجتماعيًا، فهو من جهة مبني اجتماعيًا، ومن جهة ثانية يلعب دورًا في بناء واستدامة البنيات والعلاقات الاجتماعية». (بيرز، ٢٠١٩م: ٣٣٥) .في هذا القسم، سنتناول العلاقة بين خطاب قصيدة «الفدائي والأرض» والمجتمع: كيف تأثر الخطاب بالمجتمع؟ وكيف أثر هذا الخطاب في المجتمع وأسهم في تغييره؟

الرّد على هذين السؤالين يدخل ضمن إطار عمل منهج تحليل الخطاب النقدي. وفي مرحلة الشّرح، نحن بصدد بيان العلاقة الجدلية بين الخطاب والمجتمع. والهدف هو الوصول إلى المعاني العميقة الموجودة في النص. وبشكلٍ مختصر: «هدف مرحلة الشّرح هو رسم صورة الخطاب باعتباره جزءًا من عملية اجتماعية، وباعتباره ممارسة اجتماعية، وبيان كيف تتحكم فيه الأبنية الاجتماعية، وما يمكن لضروب الخطاب أن تؤدي إليه من آثار تراكمية في هذه الأبنية، بالحفاظ عليها أو تغييرها». (فيركلاف، ٢٠١٦ م، ٢٢٠). هنا يجب أن نرد على هذا السؤال: هل الأيديولوجيا الموجودة في خطاب قصيدة «الفدائي والأرض» جاءت لتؤيد الأيديولوجيا السائدة في المجتمع أم تسعى إلى إصلاحه أو تغييره؟

بالرد على هذا السؤال، يمكننا القول إن صاحبة النص تسعى في قصيدتها إلى الدعوة لتغيير موقف المقاومة، إذ لا تكتفي بالمقاومة بالشعارات فقط، بل تدعو إلى التضحية والفعل. وقد تأثر هذا الخطاب بالأيديولوجيا السائدة التي تحمل قيم الفداء والمقاومة العملية. يشير فيركلاف إلى مفهوم التكدّس الصياغي، وهو أداة تحليليّة تساعد على الكشف عن الأيديولوجيا الرئيسية في الخطاب: «ويُعتبر التكدّس الصّياغي مؤشّرًا على الانشغال الشديد كما يدلّ على وجود خصائص أيديولوجية معينة في المجموعة المسؤولة عنها». (فيركلاف، ٢٠١٥م،٢٣٨). من خلال قراءة خطاب هذه القصيدة، نجد تركيزًا واضحًا على أيديولوجيا الأرض والفداء.

كما بيّنا في مرحلة الوصف والتفسير، فإن جميع الإمكانيات اللغوية والنحوية والبنائية جاءت لتجذير أهمية الأرض في ذهن المخاطب وأفراد المجتمع. ويمكن القول إن خطاب هذه القصيدة يتأثر بالبُنى الاجتماعية التي ساعدت على ظهوره.لكن ينبغي ألا نغفل عن دور صاحبة النص، التي استطاعت استخدام الإمكانيات اللغوية والخطابية لبناء خطاب مؤثر ومقنع يخاطب الجمهور ويؤسس لأيديولوجيا المقاومة والفداء. في النهاية، يمكن القول بأنّ في في إطار تحليل الخطاب النقدي، يُعتبر الخطاب جزءًا لا يتجزأ من الأيديولوجيا الاجتماعية السائدة، كما أنّه أداة فعالة لتشكيلها وإعادة إنتاجها. في قصيدة «الفدائي والأرض»، نجد أن الخطاب يعكس ويؤثر في الأيديولوجيا الوطنية التي تركز على المقاومة والتضحية من أجل الوطن. الأيديولوجيا في هذه القصيدة ليست مجرد نقل للمفاهيم السائدة، بل هي إعادة تشكيل لهذه الأيديولوجيا بما يتناسب مع السياق الزماني والمكاني الذي نشأت فيه القصيدة. فالشاعرة فدوى طوقان لا تقتصر على تأييد الأيديولوجيا السائدة فقط، بل تسعى إلى تحفيز المجتمع على التحرك الفعلي والمشاركة في المقاومة، مبدلة بذلك خطاب السكون إلى خطاب الفعل والانتفاض.إنّ الخطاب الأدبي، هنا، لا يعكس

الأيديولوجيا السائدة فحسب، بل يسهم في إعادة إنتاج هذه الأيديولوجيا وتغييرها، حيث يتحول من مجرد دعم لخطاب المقاومة إلى دعوة للتضحية والفعل. كما أن استخدام الشاعرة للأدوات اللغوية والبلاغية يسهم في ترسيخ الأيديولوجيا القتالية والمقاومة في عقلية المخاطب، مما يجعل النص ليس فقط مستهلكًا من قبل المجتمع، بل محركًا للتغيير الاجتماعي من خلال تعزيز الأفكار المرتبطة بالوطنية والتضحية. في النهاية، يتضح أن الخطاب هنا يعمل كأداة لتشكيل أيديولوجيا تتفاعل مع المجتمع وتساهم في دفعه نحو تغيير مواقفه وتحقيق أهدافه النضالية.

النّتائج

فيما يلي سنشير إلى أهمّ النّتائج الّتي وصلنا إليها من خلال هذا البحث:

للخطاب دور بارز في تعريف المجتمع، حيث إنه يتشكّل من مميّزات المجتمع ويعكسها. وكما أشرنا في هذا البحث، فإن الخطاب هو ثمرة المجتمع، ولهذا يمكن من خلال دراسته الوصول إلى أبرز ملامح هذا المجتمع ومميزاته. وقد أظهر تحليل قصيدة "الأرض والفدائي" أهمّ الخصائص الفكرية والاجتماعية للمجتمع الفلسطيني في فترة زمنية معيّنة.

من خلال دراسة خطاب هذه القصيدة، توصّلنا إلى الفكرة السائدة في المجتمع آنذاك، وهي فكرة الدفاع والمقاومة باستخدام الكتابة والشعارات. ولكن الشاعرة فدوى طوقان تنكر في بداية القصيدة فعّالية هذا النوع من المقاومة، وتدعو إلى العمل الميداني والتضحية الفعلية بعيدًا عن الشعارات. تطبيق مراحل منهج تحليل الخطاب النقدي على هذه القصيدة كشف لنا جانبًا من الرؤية الفكرية والوجدانية لدى أفراد المجتمع. على سبيل المثال، أظهرت المحادثة بين الابن "مازن" وأمه أهمية الأرض بالنسبة للمجتمع الفلسطيني، فهي تمثّل الهوية والانتماء، ومن دونها يفقد الفلسطينيون هويتهم ووجودهم.

أحد أهم الأركان التي تلعب دورًا فعالًا في انتقال الأيديولوجيا إلى المخاطب هو استخدام المفردات المناسبة. فالمفردات تحمل في طيّاتها الأيديولوجيا التي يعكسها الخطاب. في هذه القصيدة، لاحظنا تكرارًا مقصودًا لمفردة «الأرض» والعديد من المفردات المرتبطة بها أيديولوجيًا مثل «الوطن»، «البلد»، و«الهوية». كذلك، تكرّرت ألفاظ تعبّر عن الفداء والتضحية مثل «الشهادة»، «التضحية»، و«الفدائي». وقد استخدمت الشاعرة هذه الكلمات بشكل مدروس لتؤثّر في المخاطب وتعزّز لديه فكرة الدفاع عن الأرض كواجب أساسي.

كما يتضح من تحليل هذه القصيدة، أن الأفكار والقيم التي يرسّخها الأدب في أذهان المخاطبين، مثل أهمية الأرض والفداء، تترك أثرًا ملموسًا في سلوك المجتمع وتوجّهاته. من أبرز مقوّمات نجاح المقاومة، وجود خطابات تعيد تشكيل وعي المجتمع و تؤكّد على أهمية الأرض والفداء في سبيلها. الخطاب الأدبي، كما يتضح في قصيدة «الأرض والفدائي»، يلعب دورًا محوريًا في بناء الأيديولوجيات وتوجيه الوجدان العام، وهو ما يساهم بشكل فعّال في إحياء روح المقاومة وتحقيق الاستمرارية لها.

المصادر والمراجع

الكتب

القرآن الكريم

آقاگل زاده، فردوس (١٣٩٢ش). فرهنگ توصیفی تحلیل گفتمان و کاربرد شناسی، ط١، طهران: مطبعة نشر علمی.

الأسطة، عادل (٢٠٠٨م). أدب المقاومة من تفاؤل البدايات إلى خيبة النّهايات، ط٢، دمشق: مؤسّسة فلسطين للثّقافة.

جمعة، حسين (٢٠٠٩)م. ملامح في الأدب المقاوم (فسلطين نموذجا)، (د.ط)، دمشق: وزارة الثّقافة.

خاكي قراملكي، محمدرضا (٢٠٢٠م). الأيديولوجيا، المراجعة محمود حيدر، ط١، كربلاء: العتبة العبّاسية المقدّسة.

السّامرائي، فاضل صالح (١٩٩٠م). معاني النّحو، ط١، بيروت: دار إحياء التّراث العربي.

طوقان، فدوى (١٩٩٣م). الأعمال الشّعرية الكاملة، ط١، بيروت: المؤسّسة العربية للدّراسات والنّشر.

العروي، عبدالله (٢٠١٢م). مفهوم الأيديولوجيا، (د.ط)، الدّار البيضاء: المركز الثّقافي العربيّ.

فوداک،روث/ میشیل مایر (٢٠١٤م). مناهج التّحليل النّقدي للخطاب، ترجمة حسام أحمد فرج، عزة شبل محمّد، (د.ط)، مراجعة عماد عبداللّطيف، القاهرة: المركز القومي للترجمة.

فیرکلاف، نورمن (٢٠١٦م). اللّغة والسّلطة، ترجمة: محمّد عناني، قاهرة: المركز القومي للتّرجمة.

فیرکلاف،نورمن (٢٠١٥م). الخطاب و التّغيّر الاجتماعي، ترجمة: محمّد عناني، ط١، قاهرة: المركز القومي للتّرجمة.

مجموعة من المؤلفين (٢٠١٩م). التحليل النّقدي للخطاب مفاهيم ومجالات و تطبيقات، إشراف:محمد يطاوي،د.ط، برلين: المركز الدّيمقراطي العربي للدراسات الاستراجة والسياسية والاقتصادية.

هلیدی،مایکل/ رقیه حسن (١٣٩٣ش). زبان، بافت ومتن جنبه هایی اززبان در چشم اندازی اجتماعی -نشانه شناختی، ترجمة: مجتبی منشی زاده و طاهره ایشانی، (د.ط)، طهران: مطبعة نشرعلمی.

ون دایك، تئون (١٣٩٤ش). ایدئولوژی وگفتمان، ترجمة محسن نوبخت، ط١، طهران: مطبعة سیاهرود.

یورگنسن ماریان/ لوئیز فیلیپس (١٣٩٦ش). نظریه وروش در تحلیل گفتمان، ترجمة: هادی جلیلی، ط٧، طهران: مطبعة نی.

الرّسائل والأطاريح

بن سعيد، شيماء (٢٠١٩م). أدب المقاومة دراسة في الجذور والآفاق (أطروحة لنيل درجة الماجستير)، إشراف رسيد بن يمينة، جامعة ابن خلدون بتيارت، الجزائر.

دويس، صابرين (٢٠١٥م). التّشكيل الأسلوبي في قصيدة الفدائي والأرض لفدوى طوقان (أطروحة لنيل درجة المجاستير)، إشراف عمّار حلاسة، جامعة قاصدي مرباح، الجزائر.

الدّوريّات

بريز، روث (٢٠١٩م). التّحليل النّقدي للخطاب ونقّاده، ترجمة: محمّد الملّاخ، مجلّة جامعة أمّ القرى لعلوم اللّغات وآدابها، العدد٢٣، السّعوديّة.

نوروز، مهدی وفرهود، فرنگیس (١٣٩٥ش). «تعلیم تحذیری سعدی در بوستان با رویکرد تحلیل گفتمان انتقادی نظریه ی فرکلاف»، مجلة دراسات الأدب التّعلمي ، العدد ٣٢، صص١٦١-١٨٩.

اليطاوي، محمد (٢٠١٨م). «المرجعية اللّسانية في التّحليل النّقدي للخطاب»، مجلة سياقات اللّغة والدّراسات البينية، مصر، االعدد١، صص٣٥٤-٣٨٥.

References

Quran Al- Kareem

Aghagolzadeh, Ferdows (2013). Descriptive Dictionary of Discourse Analysis and Pragmatics, 1st ed., Tehran: Elm Publications.(In Persian)

Al-Asafta, Adel (2008). Resistance Literature: From the Optimism of Beginnings to the Disillusionment of Endings, 2nd ed., Damascus: Palestine Foundation for Culture. (In Arabic)

Jumaa, Hussein (2009). Features in Resistance Literature (Palestine as a Model), (no edition), Damascus: Ministry of Culture. (In Arabic)

Khaki Qaramalki, Mohammadreza (2020). Ideology, edited by Mahmoud Haider, 1st ed., Karbala: Al-Abbas Holy Shrine Publications. (In Arabic)

Al-Samarrai, Fadel Saleh (1990). Meanings of Grammar, 1st ed., Beirut: Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi. (In Arabic)

Tuqan, Fadwa (1993). Complete Poetry Works, 1st ed., Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing. (In Arabic)

Al-Aroui, Abdullah (2012). The Concept of Ideology, (no edition), Casablanca: Arab Cultural Center. (In Arabic)

Wodak, Ruth / Michael Meyer (2014). Critical Discourse Analysis Methods, translated by Hossam Ahmed Farag and Azza Shebl Mohamed, reviewed by Emad Abdul Latif, Cairo: National Center for Translation. (In Arabic)

Fairclough, Norman (2016). Language and Power, translated by Mohamed Enani, Cairo: National Center for Translation. (In Arabic)

Fairclough, Norman (2015). Discourse and Social Change, translated by Mohamed Enani, 1st ed., Cairo: National Center for Translation. (In Arabic)

Various Authors (2019). Critical Discourse Analysis: Concepts, Fields, and Applications, supervised by Mohamed Yatoui, (no edition), Berlin: Arab Democratic Center for Strategic, Political, and Economic Studies. (In Arabic)

Halliday, Michael / Ruqaiya Hasan (2014). Language, Context, and Text: Aspects of Language in a Social Semiotic Perspective, translated by Mojtaba Moneshi Zadeh and Tahereh Eshani, (no edition), Tehran: Elm Publications. (In Persian)

Van Dijk, Teun (2015). Ideology and Discourse, translated by Mohsen Nobakht, 1st ed., Tehran: Siahrud Publications. (In Persian)

Jørgensen, Marianne / Louise Phillips (2017). Theory and Method in Discourse Analysis, translated by Hadi Jalili, 7th ed., Tehran: Ney Publications. (In Persian)

Al-Yatoui, Mohamed (2018). "Linguistic References in Critical Discourse Analysis," Siyaqat Journal for Language and Interdisciplinary Studies, Egypt, Issue 1, pp. 354-385. (In Arabic)

Ben Said, Shaimaa (2019). *Resistance Literature: A Study of Roots and Horizons* (Master's Thesis), supervised by Rachid Bin Yamina, Ibn Khaldun University, Tiaret, Algeria. (In Arabic)

Douis, Sabrine (2015). *Stylistic Formation in "The Fighter and the Land" Poem by Fadwa Tuqan* (Master's Thesis), supervised by Ammar Halassa, Kasdi Merbah University, Algeria. (In Arabic)

Breeze, Ruth (2019). Critical Discourse Analysis and Its Critics, translated by Mohamed Al-Mallakh, Journal of Umm Al-Qura University for Language and Literature Sciences, Issue 23, Saudi Arabia. (In Arabic)

Nowruz, Mahdi, and Farhangis Farhoud (2016). "Saadi's Didactic Teachings in Bustan from the Perspective of Fairclough's Critical Discourse Analysis," Educational Literature Research Journal, Issue 32, pp. 161-189. (In Persian)